مكتبة جامعة الملك سعود

مخطوطة

رسالة في أفعال العباد

المؤلف

محمد بن أسعد الدواني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(الكتاب الثاني)

رسالة في فضائل الصحابة

لجلال الدين السيوطي

King Saud University

Copyright ©

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله تعالى فتاح القلوب والصلوة والسلام على صفيه المحبوب
وعلى آله وصحبه المطهرين من دنس الشرك ودرن العيوب فقد سئلني
الاخ في الدين واللحم على اليقين المولى الفاضل المفضل جامع فنون الكمالات
والفضائل حاوي حمائل الخصائل وفواضل الشمائل التقي النقي الذكي
الالمعي الاوزعي مولنا سعد الدين محمد بن الاسترابادي اسبغ الله فضائله ومعا
ووصف بفيوضه القدسية ايامه ولياليه اوان اجتازني بقاشان في بعض
الاسفار ان اكتب له ما حضرني في الوقت من الدقايق المتعلقة بمسئلة خلق
الاعمال حسبما تقرر لدي وتبين على غير ما سنح على منوال مسطورات الكتب
المتداولة والصحف المتناولة وحيث كانت هذه المسئلة من غوامض الاسرار
ولذلك اضطرب فيها اقوال الائمة الكبار اولي الابدي والابصار كما يشهد به
من مارس صناعتي الحكمة والكلام ويشاهده من تتبع اقوال هؤلاء الاجلاء
اعلام وكنت انا انصب في شاغل شاغلة متعطيا غوارب الاغتراب والاسفار
حتى نسجت عناكب النسيان على مناكب الصحف والاسفار صحى القلب عن سكي
واقصر باطله وعرى افراس ورواحله فاستعفيت عن اسعافه اولا حتى تكرر
الطلب ولم يبق بد من الجاح الارب فاخذت فيه غير مرجع الى كتاب مقتصرا
على مخزونات الخاطر ومقترحات الفريحة سائلا عن رب الارباب الالهام الحق
والصواب انه مفتح الابواب وها انا افيض في المقصود مستفيضا من لدن الصول والجود

وانا مشرف ان اكتب له قسم

فاقول

فاقول افعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلي بين امور الاول ان يكون
حصولها بقدرة الله تعالى وارادته من غير مدخل لقدرة العبد فيه الثاني
ان يكون بقدرة العبد وارادته من غير مدخل لقدرة الله تعالى وارادته فيه اي بلا واسطة
اذ لا ينكر عاقل ان الاقتدار والتمكين مستندان اليه تعالى اما ابتداء او بواسطة
الثالث ان يكون حصولها بمجموع القدرتين وذلك بان يكون المؤثر قدرة الله تعا
بواسطة قدرة العبد او بالعكس او يكون المؤثر مجموعهما من غير تخصيص احدهما
بالمؤثرية والاخرى بالآلية وقد ذهب الى كل من الاحتمالات صاحب الاحتمال الثاني
من محتملات الشق الثالث اما الاول فقد ذهب اليه الاشعري ومن وافقه
واما الثاني فقد ذهب اليه المعتزلة القائلون بان العبد خالق لافعاله الاختيارية
وان كان الاقتدار والتمكين منه تعالى والله عالم في الازل بما يفعل العبد وعلمه به
لا يخرجه عن كونه فعلا اختياريا للعبد كما ان من اعطى عبده سيفا وهو يعلم
ما يصنع به العبد والعبد صرفه الى قتل نفس مثلا لا يخرج فعل العبد هذا بعلم سيده
عن ان يكون اختياريا للعبد الثالث مذهب الاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني
ومن تبعه وادلة الفرق ومناقضاتهم مذكورة في الكتب الكلامية فلا نشتغل بها
والذي نقوله ههنا ان الاشعري لما تقرر عنده ان مؤثر في الوجود الا الله وان ما عداه
اسباب عادية والممكنات مستندة اليه تعالى من غير واسطة لزم على اصوله
ان يكون خالق تلك الافعال هو الله تعالى غاية الامر ان يكون قدرة العبد وارادته
سببا عاديا لها على نحو سائر الاسباب العادية ولا يلزم عليه الشناعة التي

الألوكة
www.alukah.net

يوردها المعتزلة عليه من انه يلزم ان لا يكون بين حركة المرتعش وحركة المختار
فرق وربما يدعون البداهة في بطلان مذهبه حتى نقل عن ابي هذيل العلاف
حماد بشر اعقل من بشر لان حماره يفرق بين ما يقدر عليه وبين ما لا يقدر عليه
من انه اذا وصل الى نهر صغير يمكنه العبور عنه يطأه وان وصل الى ما لا يقدر
على العبور عنه لا يخوض فيه وان اوجع بالضرب وهذا دليل على انه يفرق بين
المقدور وغير المقدور وانت تعلم ان هذه الشناعة انما يلزم على من لا يثبت
للعبد قدرة وارادة اصلا كما نقل عن بعض الحشوية وما اظن ان عاقلا يقول به
في المعنى ونفوه في اللفظ واما الذي يثبت القدرة والارادة للعبد ويدعي عدم
تاثيرها في الافعال كالاشعري فلا يرد عليه ذلك اذ القدر الضروري ثبوت القدرة
والارادة للعبد واما انهما مؤثران في الفعل حقيقة فليس بضروري اصلا
لجواز ان يكون من الاسباب العادية كما يقوله الاشعري ودعوى ان ذلك مكابرة
مكابرة وذلك مما لا يعلم العلاف فضلا عن حماد بشر ومن ههنا يعرف الفرق بين
الجبر المحض وبين ما ذهب اليه الاشعري فان الاول نفى القدرة والارادة للعبد
والثاني نفى تاثيرهما قدرة العبد وارادته لا يقال التاثير معتبر في القدرة فانهم عرفوها
بصفة مؤثرة على وفق الارادة لانا نقول الاشعري يقسم القدرة الى المؤثرة والكاسبة
وما ذكرتم تعريف القسم الاول لا مطلق القدرة ومن ههنا تبين ان معنى
الكسب الذي اثبته الاشعري هو تعلق قدرة العبد وارادته الذي هو سبب عادي
لخلق الله

لخلق الله تعالى الفعل للعبد ثم اذا فتشنا عن حال مبادي الفعل الاختياري
وجدنا الارادة منبعثة عن الشوق بل هي تاكيد الشوق ووجدنا الشوق منبعثا
عن الامر الملائم واعتقاد الملائم من غير معارض فهذه الامور لا يتخلف تحقق الفعل
عن تحققها وجميعها بقدرة الله تعالى وارادته فان تصور الملائم واعتقاد الملائم
غير مقدور وانبعاث الشوق بعده ضروري وتلك ايضا امور عقلية كما ذهب اليه
الحكماء او عادية كما ذهب اليه الاشعري فالافعال الاختيارية للعبد مستندة الى
امور ليس شيء منها بقدرته واختياره لكن لا يخرج الفعل عن كونه اختياريا
فان صفة القدرة والارادة والعلم ليست في شيء من المواد باختيار الموصوف الامري
ان الله تعالى فاعل مختار بالاتفاق مع ان علمه وقدرته وارادته ليست مستندة
الى الله اختياره اذ لو كانت مستندة اليه لتوقف على القدرة والعلم فيلزم اما الدور
او التسلسل والمعتزلة لا ينكرون كون قدرة العبد وارادته منه تعالى فلا يبقى النزاع
بين الاشعري والمعتزلة الا ان قدرة العبد مؤثرة عند المعتزلة غير مؤثرة عند الاشعري
وانت خبير بان الفرق لا يؤثر في دفع الشبهة التي يتبادر الى الاوهام العامية
في ترتب الثواب والعقاب عليها فعال العباد فانه لو قال المعتزلة ان ترتب الثواب
والعقاب عليها لكون قدرة العبد مؤثرة فللسائل ان يعود ويقول هل القدرة
والارادة وتعلقهما بقدرة الله تعالى اولا ومعلوم ان المعتزلة لا ينكرون ان
القدرة والارادة ضروري ~~ونسبة القدرة والارادة المخلوقين~~ من الله تعالى

الألوكة
www.alukah.net

كما علم من التفصيل السابق وصدور الفعل بعد تعلق القدرة والارادة ضروري

ونسبة القدرة والارادة المتعلقين بالفعل الى العبد نسبة المقبول الى القابل

لا نسبة المفعول الى الفاعل فالشبهة مخمسة عن اصلها اذ مثل العبد قبل كسبه

معاقبا بالمعاصي مثل من اضطر الى شئ ثم عوقب به فان الله تعالى القى في ذهنه

صورة الامر الملائم واعتقاد النفع ثم صار ذلك سببا لحدوث الشوق

الكامل الى ذلك الامر ثم صار ذلك سببا لانبعاث القدرة المحركة الى الفعل

وتلك الاسباب منساقة الى مسبباتها بالضرورة العقلية عندهم فالشبهة

لا تندفع بهذا القدر الذي يدعيه المعتزلة اعني تأثير قدرة العبد وارادته

على ما يظهر بادنى تأمل صادق من ذوي فطرة سليمة بل الوجه في دفع

الشبهة ان الممكنات لما لم تكن في انفسها موجودة وانما وجودها مستفاد

من الواجب تعالى فليس لنا عليه تعالى حق حتى ينسب اليه تعالى في تخصيص

بعضها بالثواب وبعضها بالعقاب ظلم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وليس مثله

كمثل من يملك عبدين ثم يعذب احدهما من غير جريمة وينعم على الآخر من غير

استحقاق فان العبد ليس مخلوقا للمالك بل هو ومالكه سيان في انهما مخلوقان

لله تعالى مستفيدان الوجود تعالى مملوكان في الحقيقة له تعالى فلا حق للمالك على

العبد الا ما عينه الله تعالى له وينسب هذا بوجه بعيد ان الانسان اذا تخيل

تصور صورة معذبة وصورا منعمة لا يتوجه عليه الاعتراض بانك لم خصصت

هذه الصورة بالعذاب وتلك بالنعمة وليعلم ان خلق الكافر ليس قبيحا وان

كان الكافر قبيحا كما ان تصوير الصورة القبيحة ليس قبيحا وان كانت

الصورة قبيحة بل ربما دل تصوير الصورة القبيحة على كمال حذاقة الصانع

ومهارته في صنعته والحق الذي يلوح انوارة من كوة التحقيق ان فيض الوجود

من منبع الجود الوجود فائض على الماهيات الممكنة حسبما يستعده وتقبله وكما ان المنعم

في النشأتين ممكن كذلك المعذب فيهما والمعذب في احدهما دون الاخرى ممكن

وعطائه تعالى غير مقطوع ولا ممنوع فان يد الله تعالى سلاية بالخير والكمال وخزانة

كرمه مملوة من نفائس جواهر الجود والافضال فلا بد ان يوجد جميع الاقسام

واصل هذا ان الصفات الاولية باسرها تقتضي ظهورها في مظاهر الاكوان

وبروزها في مجال الاعيان وكما ان الاسماء الجمالية تقتضي البروز وتأبى الاستتار

فكذلك الاسماء الجلالية تستدعي الظهور والاظهار فكما ان الهادي يتجلى في مجال

الموقنين والابرار كذلك اسم المضل والمذل يظهر في مظاهر المشركين والكفار

واعتبر ذلك في جميع الاسماء والصفات تنكشف عليك لمعة من لمعات انوار الحقيقة

وترتقي الى شمة من نفحات الاسرار الدقيقة والسؤال بان هذا لم صار مظهرا

لذلك الاسم وذلك مظهرا للاسم الآخر مضمحل عند التحقيق فانه لو كان هذا مظهرا

لذلك الاسم لكان هذا ذلك ثم توهم بقاء السؤال بعينه فتأمل فانه دقيق

ثم ان للتوحيد بحسب القسمة الاولى ثلاث مراتب ادناها مرتبة توجيه الافعال

وهو ان يتحقق بعلم اليقين او بعين اليقين او بحق اليقين ان لا مؤثر في الوجود

الا الله وقد انكشف ذلك على الاشعري اما من وراء الحجاب القوة الفكرية

او اقتبسه من مشكوة النبوة فانه قليل ما يخالف ظواهر الكتاب والسنة

الألوكة
www.alukah.net

الحكماء ايضا قائلون بان الله تعالى هو الفاعل الحقيق لجميع الممكنات
وان ماعداه بمنزلة الآلات والشرائط هذا وان كان خلاف صاحبه
بين المتاخرين المتخالفين لا قاويلهم لكنه مما صرح به المحققون منهم
حتى رئيسهم وشيخهم ابو علي حسين بن عبد الله بن سينا في كتاب
لتلميذه الشفاء وتلميذه الفاضل عمر بن خيام رسالة في تحقيق ذلك اشبع فيها
القول وبينه بمقدمات دقيقة لولا ما انا من الشواغل العائقة وكون
على جناح السفر مستوفزا للخصت بعضها وذكر ايضا تلميذه
المبرز بهمنيار في كتابه التحصيل مشيرا الى بعض مقدمات دليله واعدد
ان هذه المرتبة الى اصل الكلام فاقول ان مرتبة التوحيد وهو توحيد الافعال اول
فتوحات السالكين الى الله تعالى ومن نتائج هذه المرتبة التوكل
وهو ان يكل اموره كلها الى الله الفاعل الحقيق ويثق بعنايته
وجوده وثانيها مرتبة توحيد الصفات وهو ان يرى كل قدرة
مستغرقة في قدرة الله تعالى الشاملة وكل علم مضمحلا في علمه
الكامل هل ترى كل كمال لمعة من عكس كماله كما ان الشمس
اذا انجلت وانتشرت اضواءها على الاعيان فالذي لا يتحقق
جلية الكمال ربما يعتقد ان الاعيان مشاركة للشمس في النور
لكن

لكن المتبصرين ان تلك الانوار باسرها انوار الشمس ظهرت عليها بحسب
قابليتها ومناسبتها اياها وهذه المرتبة اعلا من المرتبة الاولى ومستلزمة
وثالثها مرتبة توحيد الذات وههنا تنمحي الاشارة وتنطمس العبارة
ولا اجد من الوقت المساعدة للخوض فيه فانه بحر عميق ويكفي في تحقيق
هذه المرتبة الكلمات المأثورة من امير المؤمنين ويعوب الموحدين
علي رضي الله تعالى عنه في جواب كميل بن زياد صاحب سره وقابل جدده وبره
فالبصير المتبصر فليتبصره فيه بنظر وتفكر فيه بفكر عميق حتى يتجلى عليه انوار
التحقيق قال كميل لعلي ما الحقيقة فقال ما لك والحقيقة قال اولست صاحب
سرك قال بلى ولكن ترشح عليك ما يطفح مني فقال او مثلك يجيب سائلا
فقال الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير اشارة فقال زدني فيه بيانا
سبحات الجلال
فقال محو الموهوم مع صحو المعلوم فقال زدني فيه بيانا فقال هتك الستر
لغلبة السر فقال زدني فيه بيانا فقال جذب الاحدية لصفة التوحيد فقال زدني
فيه بيانا فقال نور يشرق من صبح الازل فيلوح هيا كل التوحيد اثارة
فقال زدني فيه بيانا فقال اطفئ السراج فقد طلع الصبح تم استنساخ
اطفئ السراج
الرسالة للجلال الدواني قدس سره بلطف الفائض انا فانا على عبده
الذي ما افاق عن سكره انا الله ارحمه من فوح حبك شمة

آمين

شبكة الألوكة
www.alukah.net